

الثنائيات الضدية في شعر كُثير عزة

م.م غيداء علاوي محمد كاظم
كلية الحلة الجامعة

Opposite dualities in the poetry of kuthaire
Azzah

Gaidaa Allawii Mohammed

Ghaida1992@hilla-unc.edu.iq

إن الحياة قائمة على التوازن والتقابل والتضاد، فالفكر الإنساني يعتمد في نشاطاته على التناقضات وحوار الحدود المتقابلة وإن قسم كبير من النشاط الفكري يعود إلى الجمع بين الشيء ونقيضه انطلاقاً من مبدأ (أن كل شيء في الوجود يحمل معه نقيضه)، فالنفس تحمل في أغوارها ثنائيات متضادة، الحب غريزة سامية والكره والحدق مائل أمامنا، والحياة والموت طرفي معادلة الوجود، الضوء والظلام، والبياض والسواد، القرب والبعد، كل تلك المظاهر تسبح في الكون، تتجاذب وتتنافر فتعطي للوجود أهمية والبحث يرصد ظاهرة الثنائيات في شعر كثر عزة وقد جاء في ثلاثة محاور هي تضاد المطابقة، تضاد النفي وتضاد اللون، يسبقها مقدمة ويتلوها خاتمة

الثنائيات-الضدية-في-شعر-كثر عزة

Life is based on balance, contrast and contradiction. Human thought depends in its activities on contradictions and dialogue of opposite borders, and a large part of intellectual activity is due to the combination of a thing and its opposite, based on the principle (that everything in existence carries with it its opposite). Love is a sublime instinct, hate and hate are present before us, and life and death are both ends of the equation of existence, light and darkness, white and black, nearness and distance.

All of these manifestations swim in the universe, attract and repel each other, giving existence importance. The research monitors the phenomenon of dualities in the poetry of Katheer Azza, and it came in three axes: the antithesis of conformity, the antithesis of negation and the antithesis of color, preceded by an introduction and followed by a conclusion. **Opposite-dualities-in-the-poetry-of-kuthaire Azzah**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلق الله اجمعين نبي الامة محمد صل الله عليه واله وسلم ، اما بعد في صدد هذا الموضوع أوضح ان الثنائيات الضدية بنية لغوية متقابلة اللفظ والمعنى، متباينة ظاهرة في النسق، مضمرة تُظهر في تباينها ابداعاً وجمالاً شعريين، تعتمد نسيجاً لغوياً يُعد ترجمة لنفسية الشاعر ومكوناته الداخلية والذاتية (١) ونشأت هذه الثنائية من شعورين مختلفين يوقظان الاحساس وواحد من هذين الشعورين فقط هو الذي يستثمر نظام الادراك في الوعي، والثاني يظل في اللاوعي (٢) وتُولد الثنائيات الضدية فضاء مائلاً للنص، إذ تجمع جملة علاقات زمانية ومكانية وفعلية بأزمنة مختلفة، فتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور، تلتقي وتتصادم وتتقاطع وتتوازي، مما يغني النص وتعدد امكانيات الدلالة فيه، فالتضاد يشكل عالماً من جدل الواقع والذات في صراعها مع الحياة (٣) وإذا انتقلنا من دائرة الحياة الى دائرة الشعر وجدنا في ديوان الشاعر كثر عزة حشداً من المفردات المتضادة كثنائيات متلازمة يرصد الشاعر تفاصيلها فتأتي بدلالات متعددة تعبر عن حالته الشعورية المتباينة من موقف الى اخر، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين حمداً دائماً لا ينقطع ابداً .

المطلب الأول / معنى وقيمة الثنائيات

أولاً/ معنى الثنائيات في دلالتها اللغوية

((ثي يثنى وهو تكرير الشيء مرتين او جعله شيئين متوالين او متباينين وذلك قولك ثنيتُ الشيء ثنياً)) (٤) اما في الاصطلاح الثنائي ((من الاشياء ما كان ذا شقين.. والثنائية الواحد والمادة من جهة ماهي مبدأ لعدم التعيين ...)) (٥) اما معنى التضاد، فقد وقف اللغويون العرب على معناه، انطلاقاً من الاصل اللغوي للمادة، وورد في القاموس المحيط ((الضدُّ بالكسر والضدُّ بالمثل والمخالف ضدٌّ ويكون جمعاً، وفيه ((وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا)) مريم (٨٢). وضده في الخصومة: غلبه وضد عنه: صرفه ومنعه برفقٍ، وضد القربة: ملأها وأضد: غضب، وضادّه: غضب، وضادّه: خالفه وهما متضادان (٦) وفي لسان العرب عن الضد انه كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة تقول: هذا ضده وضديده، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذاك ويجمع على الاضداد (٧) التضاد في معناه الاصطلاحي: ((ان يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل)) (٨) و يرى ابو هلال العسكري ان التضاد معناه ((هما اللذان ينتمي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان موجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض)) (٩) وعلماء البلاغة والنقد يرون ان مفهوم التضاد يمتزج مع مفاهيم اخرى ويتداخل معها، فيرونه نوعاً من الاشتراك اللفظي والذي يُعرف بأنه ((عبارة عن كلمة واحدة ذات معنيين، يصلُ الخلاف بينهما الى حد التناقض كقولهم باع بمعنى باع واشترى) (١٠) ومفهوم التضاد قريب من مصطلحات اخرى كالتطابق والمقابلة والتكافؤ؛ فالتطابق هو ((الجمع بين الشيء وضده...)) (١١) وقد ورد هذا المصطلح في كتاب البديع لأبن معتز ((طابقت بين الشئيين إذا جمعتهما على حذو واحد...)) (١٢) ومن ناحية

أخرى يرى بعض البلاغيين علاقتك التضاد بالمقابلة وهي (ان يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض او المخالفة او يشترط شروطاً، ويعدد احوالاً في احدى المعنيين فيجب فينا يوافق بمثل الذي شرطه وعده وفيما يخالف بأضداد ذلك) (١٣) وهكذا نرى النقاد جعلوا المقابلة والطباق من اقسام التضاد (قسم بعضهم التضاد فسمى ما كان فيه لفظتان معناها ضدان كالسواد والبياض (المطابق) وسمي تقابل المعاني والتوافق بين بعضها وبعض حتى تأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة (المقابلة) (١٤) (اما علاقة وتقارب التضاد مع التكافؤ الذي يحمل المعنى نفسه فقد أدرج قدامة بن جعفر تحت نعوت المعاني عندما قال (ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو ان يصف الشاعر شيئاً او يذمه ويتكلم فيه، فيأتي بمعنيين متكافئين اي متقابلين، اما من جهة المصادرة او السلب او الايجاب او غيرهما من اقسام التقابل)) (١٥) (ومن خلال ما تقدم نفهم تقارب المعنى المشترك بين التضاد والمفاهيم الأخرى

ثانياً / قيمة الثنائيات الضدية في النص الادبي

للتضاد اهمية كبيرة وفاعلة في تحقيق فاعلية وشعرية النص الادبي فالمخالفة تغدو مهمة واساسية يتلقاها القارئ عبر كسر السياق والخروج عليه (١٦) والتضاد وسيلة تكتيكية في بناء القصيدة اذ ان الشاعر مضطر الى محاكاة التوتر النفسي للإنسان ككائن حي غير مستقر السلوك ، وبواسطة التضاد يوقد الشاعر التوهج الشعوري والعاطفي في الكلمات (١٧) وهذا الموقف يبين ان الخصيصة الطاغية التي تمتلكها اللغة في الخلق الشعري ليست التوحيد والتشابه بل المغايرة والتضاد (١٨) ويرى البلاغيين ان الثنائيات المتضادة هي غاية جمالية ومطلب فني، ذلك ان محاولة الشاعر الجمع بين اجزائه وتناسقاً وانسجاماً وارتباطاً بين الالفاظ والعبارات والصور بحيث يبدو التعبير مثل الصورة المكتملة في اجزائها المتناسقة في الوانها (١٩) وهكذا يكون للثنائيات الضدية خصيصة جوهرية من خصائص الشعر وبهذا يأخذ الشعر وصفه بأنه (اكسير الادب الاصيل) (٢٠)

المطلب الثاني / تضاد المطابقة

يقصد بالتضاد وجود لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنى كالقصير في مقابل الطويل، والجميل في مقابل القبيح (٢١) ويُعرف التضاد بالطباق والمطابقة ايضاً وهو صورة من صور البديع التي لقيت اهتماماً كبيراً من البلاغيين القدماء وله اهمية في التراث النقدي ، والشاعر كثير عزة يشغل طاقات التضاد (الطباق) في محاكاة واقعه وما يعيشه على مسرح الحياة، وتشكيل تفاعلاته مع الواقع ورؤيته للأشياء فجاءت الفاظه الضدية في الاتجاهات كما في ثنائية (اليمين والشمال) اذ يقول في مدح يزيد بن عبد الملك (٢٢)

وقد جعلت أشجانَ بركٍ يمينها وذات الشمالِ منْ مُريخةَ أشاما
موليةً أيسارها قطنَ الحمى تواعدنْ شرباً من حمامةٍ مُعلما

من المفردات الضدية التي حفل بها شعر كثير عزة وهو يتحدث عن اطلال حبيبته في قصيدة مدحية لفظتي (اليمين والشمال) فالتضاد في النص أبرز صورة الاشجان (مائل الماء) والبرك وهي تخرج من اتجاهي الشمال واليمين وقد عملت الثنائية في النص حالة الشمول للاتجاهات حيث الماء يجري من كل جوانبها ومن خلال توزيع هذه الثنائية في النص تكشف التأثير الوجداني للشاعر بالمكان وما حل به وان تصويره بهذه اللغة وممتدة من البيئة التي يعيشها وفي رثاء لرجلٍ يُدعى ابا وهب يقول (٢٣) :

لَتَبْكِ الْبَوَاكِي الْمُبْكِيَاتُ أَبَا وَهَبٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ رِخَاءٍ وَمِنْ كَرْبٍ
أَخَا السَّلْمِ لَا يَعْيا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَلِي يَجوي مُعَانِقَةَ الْحَرْبِ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَعْتَنَا بَعْدَ خُلَّةٍ فَنِعْمَ الْفَتَى فِي الْحَيِّ كُنْتَ وَفِي الرِّكَبِ
سَقَى اللَّهُ وَجْهًا غَاذَرَ الْقَوْمُ رَسْمَهُ مُقِيمًا وَمَرَّو غَافِلِينَ عَلَى شَعْبِ

لقد عبر الشاعر عن حزنه العميق جراء فقد المرثي (ابو وهب) وهو يأمر النساء بمشاركة البكاء وفي ذلك تخفيفاً للخوف الذي يعتمر داخله، فضلاً عن اظهار مكانة المرثي فالجميع يبكيه بحرقه معضداً دعوته للبكاء بألفاظ ضدية متقابلة فظهرت في النص لفظتي (رخاء وكرب) متقابلين يدلان على شمولية السلام للمرثي في حالتي الشده والرخاء و (السلم والحرب) فالمرثي رجل كل المواقف والاقوات سلامها وحربها، فإذا تطلب السلم فهو مسالم واذا أقبلت الحرب فليس مهزوماً و لا جباناً ويظل الشاعر يحشد النص بالمتضادات التي تدعم فكرته وتسهل من اصال معانيها للقارئ، فالمرثي نعم الفتى في (الاقامة والظعن) و(مقيماً وغادر) فنجد في هذه العلاقات الضدية تعبيراً عن دلالة متصلة بمكانة (ابي وهب) وبذلك كانت بين اللغة والصورة الشعرية حركة تفاعل (٢٤) وفي تضاد الاتجاهات (وراء ، امام) يقول مادحاً (٢٥) :

الضاريون أمامها ووراءها بمُهَنْدَاتٍ قَدْ أُجيدَ صِقَالُهَا

الجلم أثبت منزلاً في صدره من هضبِ صنددٍ حيثُ حلَّ خيالها

يشغل الشاعر الطاقات الكامنة في المتضادات اللفظية والمعنوية في ابراز رؤية لشجاعة الممدوح واصفاً ضربه المبرح للأعداء بالسيوف القاطعة، وهو يرى في الضرب نظاماً تجتمع بين حديه (الاتجاهين) امامها ووراءها وبهذا التضاد يقدم رؤيته الواضحة للممدوح اذ شمل ضرب الاعداء من الاتجاهين الامام والخلف مما يعني ان الشاعر لا يتحرك الا بين هذه الاضداد ويعرض الشاعر تضاداً آخرأ يشخص فيه العلاقات الاجتماعية فيقول (٢٦) في اخوان الصفاء جامعاً الاضداد:

وَجَزَيْتُ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ فَمِنْهُمْ حَمِيدُ الْوِصَالِ عِنْدَنَا وَدَمِيمُهَا
وَأَعْلَمُ أَنِّي لَا أُسْرِبُ لُجْنَةً مِنَ الْمَوْتِ مَعْقُودٌ عَلَيَّ تَمِيمُهَا

فينجح الشاعر في تشخيص اخوان الصفاء من خلال استخدام التضاد مشغلاً في ذلك مظاهر التناقض في العلاقة الاجتماعية حيث جرب الشاعر من الاصدقاء (حميد الخصال ذميم الخصال) فالشاعر يوازن بين المتناقضات ويجعلها توائم لا تتفصل ، فلا بقاء لاحدها الا بحضور الاخرى ، وبذلك اعطى هذا التناقض للنص فاعلية شعرية واضحة وفي نفس القصيدة يتذكر الشاعر ديار حبيته فيجمع المتضادان في قوله (٢٧)

وَهَاجَتْكَ أَطْلَالُ لِعَزَّةٍ بِاللَّوَى
يَلُوحُ بِأَطْرَافِ الْبَرَقِ رُسُومُهُ
إِلَى الْمَيْتِرِ الدَّانِي مِنَ الرَّمْلِ ذِي الْعَضَا
تَرَاهَا وَقَدْ أَقْوَتْ حَدِيثاً قَدِيمَهَا

يتحدث الشاعر عما هاج قلبه من مشاعر وذكريات وهو يرى اطلال الحبيبة وقد علاها الرمل والحصى ، فتغيرت رسومه ومعالمه ، حتى الاشياء المرتفعة منه علاتها الرماح ، فلم تبقى الحديث منها والقديم فأصبح الحديث قديماً وعمل التضاد في النص بين (حديثها ، قديمها) على توأمة الحدث ، فالتضاد جمع الديار بميزة واحدة ولذلك ارفد الشاعر النص بمفردات ذات دلالة متعاكسة في اشارة الى ان كل شيء لا يبقى على الدوام والثبات وهذا ما خدم تجربة الشاعر الوجدانية وولد فاعلية شعرية نبض بها النص وتبقى التضادات تتساق في نهاياتها الى ما يصبو الشاعر في تحقيقه والوصول اليه

لذلك يقول في التضادات الاخرى ايضاً (٢٨)

أَفِي الدِّينِ هَذَا إِنَّ قَلْبَكَ سَالِمٌ
صَحِيحٌ وَقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ سَقِيمٌ
وَإِنَّ بَجُوفِي مِنْكَ دَاءٌ مُخَامِراً
وَجُوفُكَ مِمَّا بِي عَلَيْكَ سَلِيمٌ

فالشاعر في هذا النص يخاطب الحبيب افي دينكم هذا؟ قلبك عامرٌ صحيح وقلبي عليل سقيم يعاني الوجد، وفي جوفي داءٌ مزمن وجوفك سليم وللتضاد في الابيات قيمة داخل السياق اذ (تشكل بنية التضاد خلخلة في بنية اللغة التي تصبح قائمة على المخالفة والمصادمة ولكن هذه الخلخلة كفيلة بأيقاظ القارئ واستنفاره)ومن التضادات الاخرى يقول (٢٩)

مروان أنت فتى قریش ... وكهلهم إذا عد الكهول

توليه العشيرة ما عناها ... فلا ضيق الذراع ولا بخيل

يعرض الشاعر تضاداً بين (فتى وكهل) فالممدوح هو الفتى الشجاع القوي المتجدد بفتوة الشباب إذا عُدت فتیان العشيرة وهو الكهل الرأي والسديد الحكمة والبصيرة إذا عُدت كهولها وحكمائها، فالفتوة ملازمة للكهولة وكل لفظة اعطت دلالة ايجابية مغايرة للأخرى وان هذه المتضادات العكسية ساهمت الى حد كبير في الانسجام داخل النص وكشفت المعنى الخفي لكلمتي (الفتى والكهول) وكشفت عن مراد الشاعر في اقبال صورته الى متلقيه وفي توجهات قلبه المعغم يقول (٣٠) مخاطباً حبيته :

أَسِيْنِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً
لِدِينَا وَلَا مَقْلِيَةً إِنْ تَقَلَّتْ
وَلَكِنْ أَنِيْلِي وَإِدْكُرِّي مِنْ مَوَدَّةٍ

نَا خُلَّةٌ كَانَتْ لَدَيْكُمْ فَضَلَّتْ

وَإِنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لَمْ تُنْجِ وَصَادِقٌ

عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِلَيْنَا أُرْلَّتْ

يظهر التضاد بشكل واضح في مساق الغزل الذي اخذ الحيز الاكبر من ديوان الشاعر وله اوقف ثلثي شعره تقريباً فهو يخاطب حبيبته أمراً ايها بالإساءة او الاحسان فلا لوم عليها ولكن ان تذكر مودته وحبه ، فهي وان هجرته وصدت عنه باقٍ على صدقه شاكرراً لها وقد جمع الشاعر الضدين (اسيني ، احسني) لبيان مدى تعلقه بها مهما كانت التصرفات ، وهكذا تحلى التضاد في النص واغنى التجربة الشعرية للشاعر ومن نصوصه الاخرى ايضاً (٣١) :

هُوَ الْعَسَلُ الصَّافِي مِرَاراً وَتَارَةً َ

هُوَ السُّمُّ تَسْتَدْمِي عَلَيْهِ الدَّرَارُحُ

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَرِيَهُ بِغِبْطَةٍ ِ

تَوَدِّينَ لَوْ يَأْتِيكُمْ وَهُوَ صَافِحُ

ان الشاعر في هذين البيتين يتحدث عن حقيقة بعض الناس فمنهم من هو العسل الصافي ومنهم من هو السم الذي لا يطاق والشاعر وضم المتضادين (العسل السم) للدلالة على الاتعاض والحكمة واخذ التجربة من تبدل احوال الاخرين وفي وصف المعارك يجمع الشاعر متضادين بقوله (٣٢):

وطارت خلال الضرب ايدٍ وارجلٍ وحانت رقابٌ لم تعقد تميمها

واني بخير ما بقيت وما ولي قناة الهدى منكم امامٍ يُقيمها

الايد والارجل هما كلمتان متضادتان عكسيتان تحيلان الى اتجاه الشاعر وميله الى قوة وشجاعة ومدوحة وهو يخوض غماد المعركة فطارت الايدي والارجل وحانت الرقاب للقطع والتضاد ساهم في توضيح المعنى وقال يمدح ايضاً (٣٣)

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوِدَادَةُ أَنَّنِي

بِمَا فِي صَمِيرِ الْحَاجِبَةِ عَالِمٌ

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّنِي وَعَلِمْتُهُ

وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمَنِي الْوَائِمُ

وَمَا ذَكَرْتِكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ

فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَازِرٌ لِي وَوَائِمٌ

استطاع الشاعر ومن خلال الابيات ان يبرز الثنائيات الضدية كسر للحيات التي ساورته منذ مطلع البيت (وددت) وتحركت المتضادات (خيراً وشراً، عاذرٌ ووائِمٌ) لتعبر عن حقيقة الصراع الذي يجسده النسق الشعري الضد للإيجاب والسلب طرفي حياة الشاعر، ومن خلال هذه الثنائية ينقلنا الشاعر الى بنية تصور هرم التحولات التي تنبعث من هذه الثنائيات في علاقات متواشجة تصور فكر الشاعر وقال في عزة (٣٤)

وَوَاللهَ مَا قَارِبْتَ إِلَّا تَبَاعَدْتَ بِصَرْمٍ وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلْتُ

فَوَاللهَ تَمَّ اللهُ لَا حَلََّ بَعْدَهَا وَلَا قَبْلَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ

يقوم النص على القسم وبتكرار عمد الشاعر اليه لتقوية الفكرة في ذهن المتلقي حيث التناقض بارزاً بين (قاربت وبعادت واكثرت واقلت، قبلها وبعدها) والذي يوضحه الشاعر في صورتين متناقضتين وكل وحدة تحمل معنى الضدية وقد عمد الشاعر الى توظيف هذه الثنائيات ليبرز تجربة معينة او يوصل فكرة ما الى المتلقي

المطلب الثالث: تضاد النفي

النفي ضد الاثبات اي مطلق الظواهر التي تشير الى ما هو معدوم مقابل ما هو موجود، وبعبارة اخرى النفي عكس الايجاب والاخبار بالسلب والانتفاء والترك والجحد ويمكن القول ان اسلوب النفي هو (اسلوب لغوي تحدده مناسبات القول وهو اسلوب نقض وانكار يستخدم لنذبح ما يتردد في ذهن المخاطب خطأ مما اقتضاه ان يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي و بإحدى طرائقه المتنوعة الاستعمال (٣٥)

والنفي في رأي الجرحاني (ت ٨١٦ هـ) وهو ((عبارة عن الاخبار عن ترك الفعل)) (٣٦)

اما ابو هلال العسكري فقد أطلق على النفي السلب والايجاب بقوله (وهو ان يبني الكلام على نفي من جهة واثباته من جهة اخرى او الامر به من جهة والنهي عنه من جهة وما يجري يجري ذلك) (٣٧) وتضاد النفي (يكون فيه أحد المتضادين مثبتاً والاخر منفياً) (٣٨) وأطلق عليه (طباق السلب) (٣٩) والسيوطي (ت ٩١١ هـ) يطلق عليه طباق النفي وهو (الجمع بين مشتقين من مصدر واحد احدهما مثبت والاخر منفي او في حكمه كالامر و النهي بمعنى ان التنافي بين اللفظين المتحدي المعنى يكون بحسب النفي والاثبات)) (٤٠) وكانت التضاد النفي حضور بارز في شعر كثير عزة بأداة واحدة في صور مختلفة، فجاء النفي بالأداة (لا) اقلبه مع فعل النفي (ليس) ولكن بنسبة قليلة ومن تضادات النفي التي جاء في شعره ما قاله (٤١) في رثاء عبد العزيز بن مروان:

وقد زعمتُ أني تغيرتُ بعدها ومن ذا الذي ياعرزُ لا يتغيرُ
تغير جسمي والخليفةُ كالذي عهدتِ ولم يُحَبَّرْ بسركِ مختبرُ

اذا امعنا النظر في هذه القصيدة أو الأبيات نرى الشاعر يخبر متلقيه عما يعانیه من محبوبته عزة التي ناداها ببناء مرخم (يا عَزْ) وهي تزعم بان كثير قد تغير بعدها والأضداد المنفية (تغيرت/ لا يتغير) فيقدم الشاعر بهذه الألفاظ المتضادة وضماً للحالة الوجدانية التي يعينها في ظل حب ضائع وحبیب لا يبالي، ثم ينتقل الشاعر إلى غرض النص في الرثاء ويأتي أيضاً بألفاظ متضادة (لم يخبر/مخبر) وبذلك أعطى دلالة إيجابية بلفظ (لم يخبر) أي بعدم بوح أسرارهِ وكشف أخباره وأعطت اللفظة (مخبر) تأثيراً عميقاً لإثبات صفة المتكلم ونجد الشاعر في نصٍ آخر يُحشد النص بطاقة فاعلة من الضدية يقول: (٤٢)

تصدُّ فلا ترمي إذا الشخص فاتها وترمي إذا ما أمكنتها المقاتلُ
متى أشلُّ عن سعدى يهجني لذكراها حمائمٌ وأطلال دارٍ موائلُ

فيتحرك النص الإبداعي على تضاد قائم بين النفي تارة والإثبات تارة أخرى (لاترمي /ترمي) في رسم الصورة الشعرية وهي تصد فلا ترمي سحر نظراتها ويقابلها ترمي إذا تمكنت من ذلك وعمل التضاد المنفي من خلال الإدارة (لا) زيادة التوتر والتناقض الدلالي والنفسي.وله أيضاً من التضادات المنفية الأخرى قوله (٤٣):

لهفي عليك للهفة من خائفٍ كنتُ المجبر لها وليس مجبرُ
أما القبور فأنهن أوانس بجوار قبرك والديارُ قبورُ

وقع التضاد في صدر البيت بين لفظتي (المجبر/ ليس مجبر) وقد قدم الشاعر اللفظة الإيجابية (كنتُ المجبر) التي مثلت ما كان يمثلها وجوده لها من مجبراً وخائفاً عليها وسنداً لها ، ثم يأتي باللفظ السلبي (ليس مجبر) دلالة لابتعادها عنه وبوجود اللفظتين المتضادتين أعطى الشاعر لمتلقيه فرصة إكمال الصورة وبث الحياة في النص ومن التضاد المنفي في شعره بواسطة الأداة (لا) قوله أيضاً (٤٤):

فكيف يود القلب من لا يودُه بلى قد تريدُ النفس من لا يُريدها
الآليت شعري بعدنا هل تغيرتُ عن العهد أم أمست كعهدي عهدها

يصور الشاعر في هذه الأبيات عن حبه وماخلفه في نفسه وبقائه على العهد فالشاعر يسأل كيف يود القلب من لا يودُه ويجب عن تساؤله ب(بلى) تريد النفس من لا يُريدها، فالتضاد يتضح من خلال النفي (يود القلب /لايود) و (تريد/لايريد) وكل هذا التضاد يعطي دلالات الأداء الوظيفي بأنه يحب محبوبته ولا يريد تركها في وقت هي زعمت على تركه ونسيانه، والأبيات انطوت على أكثر من تضاد في صدر البيت وعجزه ويمكن أن نرصد تضاد النفي أيضاً في قوله (٤٥):

وأدنييتي حتى إذا ما ملكتني بقول يحل العظم سهل الأباطح
تناهيت عني حين لا لي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح

ان التغلغل في النص يكشف لنا الثنائية التي قام وبين عليها الشاعر تطوراته اذ سطر للقارئ احساسه بالحزن والألم الموجع الذي يعانیه وهذا ما نلاحظه في جو النص من خلال اللفظة ونفيها (غادرت /ما غادرت) وهذه الثنائية تأصلت في نفس الشاعر وكشفت عن انفعالاته الوجدانية، فنراه يختار الأسلوب الذي يجعله قريباً من النفس.وكذلك في قوله (٤٦):

يغاث الطير أطولها رقاباً ولم تطل البُرّة ولا الصُّقور
خشاش الطير أكثرها فراخاً وأمُّ الصقر مقلاتٌ نزورُ
ضعاف الأسد أكثرها زئيراً وأصرمها اللواتي لاتزيرُ

في النص تحتشد مزدوجات التضاد وتتداخل نسيجاً لغوياً فكرياً قائماً على وجهين متضادين أحدهما مخفي والآخر واضح بارز، وتخترق ثنائية (أطولها، لم تطيل) و (زئيراً / لا تزير) القدرات الظاهرة المخفية وراء الأقدار بالعجز والضعف، فالكبير لم يطل رقاباً ولا يحدث صوتاً أما الصغير فهو من يحدث الضحيج و الاسود الشجاعة لا تزأر كثيراً عكس ضعافها، فالضدية هي من كشفت البعد الواضح و المعلى و المستتر في النص.

و يقول الشاعر أيضا (٤٧) { }:

و لي كبد قد برحت بي مريضة إذا سمتها الهجران ظلت تصدع
فأصبحت مما أحدث الدهر خاشعا و كنت لريب الدهر لا أتخشع
و عروة لم يلق الذي لقيته بعفراء و النهدي ما أتفجع

انها صورة تقوم على ثنائية ضدية (خاشعا/ لا أتخشع) و كذالم (لم يلق/ لقيته) و هذه الثنائيات بينات لغوية تختزن ثنائية الحضور و الغياب ، ففي الضدية الاولى (خاشعا) و (لا أتخشع) حزنا ظاهرا و الشاعر يسلم نفسه لحوادث الدهر بالخشوع و كان قبل ان يمر بهذه التجربة الوجدانية قويا لا يبالي به و في الثنائية الثانية (لم يلق/ لقيته) الأول الشاعر عروة المعروف بالعشق و ينفي الشاعر مالمقيه مثله و الثاني هو نفسه كثير المستسلم للاضداد و قال أيضا (٤٨)

فطورا يسيل على قصده و طورا يراجع كي لا يسيل
كما مال أبيض ذو نشوة بصرخد باكر كأسا شمولا

يصف الشاعر ممشى امرأة و يشبه ذلك بالسيل مستعملا ضدية النفي بين (يسيل/ لا يسيل) ، وجدت الثنائية السيرة الشعرية في حركة السيل المتصاعدة تارة و المترجعة تارة اخرى؛ إذ تنقسم البنى اللغوية في معناها التصارع بين السيل من عدمه ، و قد شكلت سمة اساسية من سمات الموقف الذي ، وقف عنده الشاعر مصورا حركة المرأة و سيرها، فالضدية كانت خصيصة جوهرية من خصائص الموقف الوجودي نفسه (٤٩)

المطلب الرابع :- تضاد اللون

اللون من الموضوعات الي يقع فيعا التضاد، لأن التضاد القائم على اللون له قيمة تصويرية جمالية و هي أن الاشياء تزداد حسنا بالتضاد (٥٠) (اذ تكشف الألوان عن الدلالات الفنية و الايحائية في النصوص الشعرية؛ لمقدرتها على تحريك هذه النصوص و فتح الفضاءات التأويلية، فضلا عما للون من لفظية تعبيرية تحول الألفاظ و المعاني الى دلالات مرسومة و متلونة (٥١). و اللون أقرب الى عالم الرسم من عوالم الشعر؛ لامتلاكه فاعلية بصرية لمخاطبة الوجدان و الشعور، و هذا التعبير بحد ذاته يتحول بصورة غير مباشرة الى مؤشر او دال، حين وضعه ضمن سياق لغوي، فيمتلك دلالة في بناء الجملة الشعرية ثم القصيدة كلاً، و بالتالي يعيد القارئ بواسطة المخيلة الشعرية الى اللون المباشر في اثناء وجوده في لوحة ما، فالقصيدة اللونية ماهي الا لوحة فنية (٥٢) و تاتي أهمية اللون عندما يجتمع مع لون اخر مضاد له فيتشكل بذلك تضادا لونيا، و وظيفة التضاد اللوني تأتي عند تشكيل الصورة الشعرية، و هذه الوظيفة مهمة في التشكيل على الرغم من حجمها في الظاهر بين تفيضين، فاختلافهما في الاحساس و تضادهما داخل الصورة و لكن في الحقيقة تجمعهما دلالة واحدة في دلالة اللون (٥٣) و يستخدم اللون تعبيراً عن الحالة النفسية و الشعورية المراد ايصالها الى المتلقي أو لرسم صورة شعرية بالألوان (٥٤) و كان التضاد اللوني من سمات الثنائيات الضدية في شعر كثير عزة ، اذ استطاع ان يسخره ليكشف دلالات تعبيرية قادرة على تحريك النص ، ولاسيما التضاد اللوني بين البياض و السواد و الظلمة و البدر لما بين اللونين من تقابل (٥٥) و من هذه التضادات اللونية في شعره، تضاد البياض و السواد في احدى مرثياته اذ يقول (٥٦)

والأرض أمّا سوادها فتجللت بياضا وأما بيبضا فادهأمت
نمت لأبي بكر لسان تتابعت بعارفة منه فخصت وعقت

حضر التضاد اللوني في نص الشاعر عبر اللونين المتضادين (سوادها و بياضها) بشكل مباشر ، اي بقصدية من الشاعر الذي من شأنه اضافة دلالات نفسية أعمق ترتكز على رمزية هذين اللونين في الصورة البصرية وان الاستعمال اللفظي ل(أسود) يوحي بالدلالة الايجابية اذ يدل على الحزن اي حزن الارض على المرثي (عبدالعزیز بن مروان) لان مكانته عالية ويستحق الحزن ، ووظف الشاعر افعال التفضيل (ادهم)

في كلمة ادهمت التي تدل على السواد ايضا ، ويقابله اللون المتضاد معه (بيضاها) ويحمل دلالة سلبية اي بمعنى احديت الارض لفقد المرثي وهذا التضاد اللوني حرك فاعلية النص الشعرية ويقول أيضا (٥٧)

نظرت اليها نظرة مايسرني بها حمر انعام البلاد وسودها

وكنت اذا مازرت سعدى بارضها ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

يتحدث الشاعر عن نظراته الى محبوبته وزيارته اليها وكيف ان الارض الواسعة تتطوى ليقرب بعيدها ، مما ادخل الشاعر في باب المبالغات الشعرية وجاء التضادين اللونين (حمر وسود) ليكشف عن جمالية المعنى الشعري داخل النص اذ ينقل احياءات الصورة من مستوى المشاهدة العيانية الى مستوى التفكير والتأمل لما يتميز به من تشكيل بصري وفسحة جمالية (٥٨). ومن النصوص الاخرى قوله (٥٩)

خروج من العُمي إذا كثر الوغى كما انجلت الظلماء عن ليلة البدر

تتم عملية توظيف اللون بصورة غير مباشرة باستخدام لازم من لوازم اللون وليس اللون ذاته، وفي هذا البيت الشعري تداخلت ثنائية (الظلام والنور) لتشكّلان النواة الرئيسية في البيت بوصفهما معطى لونها باهرا تكتسب اولى مصادر شعريتها ابتداء من وضعها اللغوي المجرد وكلما خاضت اللغة أكثر في حياة الشعر كان ذلك مدعاة لتخضيب هذه التجربة الشعرية واثرائها (٦٠)

ويظل الشاعر في دائرة التضاد اللوني فيقول (٦١)

فذرني ولكن شاقني متغردا أعر الذرى صات العشيات اوطف

خفي تعشى في الجار ودونه من اللج خضر مظلمات وسدف

فما زال يستشري وما زلت ناصباً له بصري حتى غدا يتعجرف

جاء التضاد اللوني في إطار وصفه للغيث، والتضادين (خضر وسدف) وتعني السوداء ووضع التضاد اللوني في عجز البيت و اسهمت هذه الثنائية في بنية الصورة الحركية فلمح الرؤية التصويرية القائمة على استثمار اللون في تشكيلها فلفظة (خضر) وتقابلها (سدف) اي سود أعطى للمتلقي تشكيلا ذهنيا.

الخاتمة

شكلت الثنائيات الضدية سمة بارزة في شعر كثير عزة و كانت من الوسائل التي عبر بها الشاعر عن واقع الحياة و تناقضاتها، مما منح نصوص الشاعر طاقة جمالية رائعة ان التضاد في شعر كثير عزة هو التضاد المفرد و قسم الى تضاد المطابقة ، تضاد النفي و تضاد اللون و شكل تضاد المطابقة حضورا واسعا بشعره اذ أضحت نصوصه تشع بالدلالات و المعاني التي تحملها صور شعرية على اروع ما يكون جاء التضاد المنفي في شعره من خلال ادوات النفي (لا- ما- ليس) و التي عملت على تحويل معاني الفعل و تقلبات دلالاته بين الحاضر و المستقبل اتخذ الشاعر من التضاد اللوني مصباحاً استطاع من خلاله رؤية الحياة بصورة اكثر وضوحا مما منح نصوصه الحركة و الايقاع و قد شكلت ثنائية اللونين/ الابيض و الاسود الغلبة على بقية الألوان جاءت هذه الثنائيات بصورة عفوية في شعر كثير عزة انطلاقا من صورة الحياة التي كان يعيشها.

الهوامش

(1) ينظر: الثنائيات الضدية وابعادها في نصوص المعلقات : ٢٥٠

(2) ينظر: النظرية الشعرية: ١٨٧

(3) ينظر: الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم ٠٧

(4) معجم مقاييس اللغة : ٣٩١ / ١

(5) المعجم الفلسفي ٣٧٩/١

(6) لسان العرب : مادة (ضدد)

(7) كتاب العين : ٧

(8) التعريفات : ٥٤

(9) الفروق الفردية : ١٢٩

(10) الملغة تميم دراسة تاريخية وصفية: ٥٩٦

- (11) كتاب الصناعتين ،الكتابة والشعر :٣٠٧
- (12) كتاب البديع:٣٦
- (13) نقد الشعر :٤٧
- (14) معجم البلاغة العربية : ٤٥٠
- (15) نقد الشعر : ١٤٧
- (16) ينظر:جماليات الأسلوب والتلقي:١٨٤
- (17) ينظر : لغة الشعر العراقي المعاصر : ٤٩
- (18) ينظر : في الشعرية : ٤٩
- (19) ينظر أسلوب المقابلة والتضاد في شعر الرقيات دراسة تطبيقية : ٢٦١
- (20) التضاد في النقد الادبي: ٢١٥
- (٢١) ينظر : الالفاظ الكتابية : ٢٩٦
- (22) ديوانه / ١٣٥
- (٢٣) ديوانه/٣٥٦
- (24) ينظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : 385
- (٢٥) ديوانه / ٣٥٤
- (٢٦) ديوانه / ١٤٨
- (٢٧) ديوانه / ١٤٠
- (٢٨) ديوانه / ١٢٩
- (٢٩)ديوانه / ١٢٣
- (٣٠) ديوانه / ١٠١
- (٣١) ديوانه / ١٨٣
- (٣٢) ديوانه / ٢٦٦
- (٣٣) ديوانه / ٢٤٥
- (٣٤) ديوانه / ١٠٠
- (٣٥) في النحو العربي نقد وتوجيه : ٦٢
- (٣٦) التعريفات : ٢٤٥
- (٣٧) كتاب الصناعتين : ٤٠٥
- (٣٨):ينظر التضاد في شعر ابي إسحاق الالبيري : ٧٥
- (٣٩) البلاغة فنونها وافنانها :٧٥
- (٤٠) عقود الجمال في المعاني والبيان : ٨٠
- (٤١) ديوانه /٣٢٨
- (٤٢) ديوانه / ٢٧٦
- (٤٣) ديوانه / ٥٢٩
- (٤٤) ديوانه / ٢٠١
- (٤٥) ديوانه / ٥٢٦
- (٤٦) ديوانه / ٥٣٠
- (٤٧) ديوانه /٤٠٥

- (٤٩) ينظر : الخطاب الشعري الجاهلي ، رؤية جديدة : ٣٦
 (٥٠) اسرار البلاغة في علم البيان : ٩٨
 (٥١) ينظر : بنية التضاد في شعر ابن حمديس : ٨٣
 (٥٢) ينظر : الثنائيات الضدية في شعر ابن دراج القسطلي : ٤٩
 (٥٣) ينظر : صورة اللون في الشعر الاندلسي : ٣٤١
 (٥٤) ينظر : الشعر والرسم : ٤٦
 (٥٥) انوار الربيع في أنواع البديع : ٨٤/٤
 (٥٦) ديوانه / ٣٢٣
 (٥٧) ديوانه / ٢٠٤
 (٥٨) النور والظلام في شعر البحترى : ١٧٤
 (٥٩) ديوانه / ٥٠٤
 (٦٠) جماليات القصيدة العربية الحديثة : ١٤
 (٦١) ديوانه ٤٨١

المصادر والمراجع:

- ١- اسرار البلاغة في علم المعاني عبدالقاهر الجرجاني صححه محمد عبده دارالكتب العلمية، بيروت (د.ت)
 ٢- اسلوب المقابلة والتضاد في شعر الرقيات، دراسة تطبيقية، عبدالله احمد الوثواب، بحث في المجلة العلمية لكتب التربية، جامعة مصراته العدد ٣ : ٢٠١٥ م
 ٣- الثنائيات الضدية وابعادها في نصوص المعلقات، د غيثاء قادرة، مجلة دراسات في اللغة العربية، جامعة تشرين، العدد ١٠ : ٢٠١٢ م
 ٤- النظرية الشعرية، جان كوهن، ترجمة: احمد درويش، المجلس الاعلى للثقافة والمشروع القوي للترجمة، القاهرة ط٢، ١٩٩٩ م.
 ٥- معجم مقاييس اللغة، احمد فارس، تح عبدالسلام محمد هارون، دارالفكر، بيروت، لبنان، (د.ت) ١٩٧٩ م
 ٦- الثنائيات الضدية ، دراسات في الشعر العربي القديم ، د سمير الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٩ م.
 ٧- الخطاب الشعري الجاهلي رؤية جديدة، حسن مسكين، ط١، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥ م
 ٨- بنية التضاد في شعر ابن حمديس، فاتن احمد، رسالة ماجستير، الموصل، ٢٠١٢ م
 ٩- الثنائيات الضدية في شعراين دراج القسطلي، بيداء بشير، رسالة ماجستير، الموصل ٢٠٢٠
 ١٠- صورة اللون في الشعر الأندلسي، دراسة دلالية فنية. أ. د حافظ المغربي، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩ م
 ١١- الشعر والرسم، فرانكلين روجرز، ترجمة مي زيادة، دارالمأمون للطباعة، بغداد، ط١٩٩٩
 ١٢- انوار الربيع في انواع البديع، ابن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الاشرف! ط١، ١٩٦٨ م
 ١٣- النور والظلام في شعر البحترى، دراسة نوزاد شكر الميراني، دار الزمان للطباعة والنشر، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١٠ م
 ١٤- جماليات القصيدة العربية الحديثة، د. محمد صابر عبيد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (د. ط) ٢٠٠٥ م
 ١٥- الاتجاه النفسي في نقد الشعر د. عبد القادر فيدوح، اتحاد الكتاب العربي، (د. ط) ١٩٩٢ م
 ١٦- الالفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠
 ١٧- في النحو العربي نقد وتوجيه مهند المخزومي، منشورات المكتبة المصرية، صيدا، لبنان، بيروت، ط- ١٩٦٤ م
 ١٨- كتاب الصناعتين ابوهلال العسكري، تح محمد ابوالفضل، ط١، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٥٢ م
 ١٩- التضاد في الشعر ، ابي اسحاق اللبيري، دبسمه محفوظ البك، مجلة تكريت للعلوم الانسانية ، العدد ١٠ ، ٢٠٠٦ م
 ٢٠- البلاغة فنونها وافنانها (علم البديع) ، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١، ١٩٨٧ م

- ٢١- عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي، شرح العلامة د. عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد العمري، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط٢، ١٩٥٥م.
- ٢٢- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ط.)، ١٩٨٢م
- ٢٣- لسان العرب، ابن منظور، ط٢، لبنان، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٩٢م
- ٢٤- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م
- ٢٥- الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، تح: محمد ابراهيم سليم، ط٩، ١٩٩١م
- ٢٦- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت
- ٢٧- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط٣، ١٩٨٨م
- ٢٨- لغة تميم، دراسة تاريخية وصفية، ضاهي عبد الباقي، د.ط. الهيئة العامة للشؤون والمطابع الاميرية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٢٩- جماليات الاسلوب والتلقي، موسى ربايعه، عمان، الاردن، (د.ط.): ٢٠٠٨م
- ٣٠- لغة الشعر العراقي المعاصر، غزوان الكبيسي، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٢م
- ٣١- في الشعرية، كمال ابو ديب، ط١، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٧م
- ٣٢- البديع، عبد الله بن المعتز، دار الحكمة، دمشق (د.ط.)
- ٣٣- كتاب التعريفات، الجرجاني، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م
- ٣٤- التضاد في النقد العربي، منى الساحلي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٦م
- ٣٥- ديوان كثير عزة، جمع د. احسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٧١م